حوار حول العلاقة الجدلية
بين المحبة والكراهية

شخصيات المحاورة:

-صونيـا: صاحبة المنتدى الأدبي سيدة ثريــة جميلة مثقفة تملك فكراً ليبرالياً وتؤمن بأن الحرية والعدالة أشياء تستحق أن يناضل الإنسان من أجلها.

- سليمان: مثقف يحمــل لــواء العقــل وسيادة قوانينه.

- حســام: شاعر مبدع يملك ثقافة موسوعية، محبط.

- ريتـــا: مصممة أزيـــاء.

- عبــلة: ممرضـــة.

- ألبرتو: مغترب برازيلي ، رجل أعمال.

صونيا: ليلتنا ليلة أنيسة ماؤها خمر وهواؤها شذى وأصواتها صداح بلابل وحساسين، السنة الماضية كان عندي عصفور هجين أبوه حسّون وأمه كنار، عندما يبدأ بالغناء كان الفضاء يسيل أنغاماً دافئة حنونة، فيها الكثير من الإلفة والتعاطف. كنت أحسّ بذلك التوازن العجيب في كرّات صوته وكأنّ موسيقاراً عالمياً قسمها وناغم بين طبقاتها، البارحة تذكرت عصفوري الذي قضى نحبه منذ عدة أشهر، سألت نفسي كيف أنّ التوازن بين جنسين مختلفين يحقق معجزة إبداع لا هي في هذا الجنس ولا في ذاك، شيءٌ جديد يولـّده التفاعل تحت مظلة الإتحاد والوحدة، هذه هي المحبة موضوع حوارنا الليلة أيها السادة، ليست وليدة عنصرين متجانسين انصهرا في وحدة لا تنفصم عراها، بل عنصرين مختلفين تجاذبا بالمحبة فانصهرا في أتـّون الوجد حتى أصبحا واحداً غير قابل للتجزئة. هكذا منتدانا أيها السادة عناصر متباينة بآرائها وأذواقها تتحاور فتولد من الحوار أفكاراً ومشاعر إبداعية لم تكن موجودة في أي من العناصر المتحاورة ولكنها ثمرة التفاعل الإيجابي تحت مظلة الإخلاص للحقيقة، وعشق الحقيقة الجارف الذي يجذبنا جميعاً ليصهرنا ويحولنا الى عنصر واحد غير قابل للتجزئة.

حسام: أنا كاهنٌ في معبد الجمال أحرق أفكاري وأحاسيسي بخوراً على مذبحه المقدس، أشعر وأنا المخلوق المحسوس بجسدي، وبالناس الذين حولي، وبتفاعل المحسوسات الأخرى وكأني ذلك المحسوس اللامحسوس، أشعر بأني ذلك المحدود اللامحدود، أتلمس جسدي عضواً عضواً، أتلمس الآخرين، أتلمس حجارة بيتي وورود حديقتي، كل شيء محسوس ومحدود بحجمه وشكله وزمنه، ورغم كل ذلك أشعر بأنني ذلك التائه في المطلق، في اللانهائي، أشعر بأنني أناجي الله الذي لا يحده زمان ولا يحصره مكان، أشعر بوهج جمال الألوهة، وأشعر أنّ ذلك الوهج ينعكس على كل المحسوسات فيجعلها تنبض بالحياة والوعي، هذا ما أراه الآن في ألق عيني صونيا، في إرتعاشة شفتيها، في دفء حماستها وتعاطفها، هل نسمي هذا محبة أم نسميه تهويمات متصوف جمالي أم نسميه تحشيشاً خيالياً ليت شعري لست أدري.

ريتـــا: أنت كالبلبل الذي يعشق الــورد ولا يلتفت الــى زنبق وياسمين وخزام، أنا لا أتجــاهل جمال صونيا الأرستقراطي الموشح بالكثير من الوقــار والانفة والإعتزاز، ولكن حنانيك يا صديقنا حســام ففي الأفق شلوح زنبق تتمايل وشذا ياسمين يعبق، أنا أفهمك عندما تتحدث عــن المحدود المنجذب عشقــاً الى اللامحدود، وعن المحسوس المتشوق ليغدو مجــرداً فــي عــالم المطلــق، أفهم ذلك مــن عشقك الصوفي للورود وعشقك الغريزي للزنبــق والياسمين.

سليمان: لا أستطيع أن أتخيــل الجمــال إلا متــآلفاً مع المحبــة والعدالة والحقيقة، ولا أستطيع أن أتخيــل القبح إلا متــآلفاً مع الكراهية والإستبداد والأبــاطيل، فالجمال كما ألمح الى ذلك حسام هو شوق المحدود للإنعتاق من محدوديته باتجاه المطلق، وشوق المحسوس للإنعتــاق من محسوسيته باتجــاه المجــرد، فــي ماهيــة الإنسان لا يوجد محسوس مطلــق أو مجــرد مطلق، بل يوجد هذا التجاذب بين المحسوس والمجرد، فإذا انجذب الإنسان الى المجرد كان الإنسجام والتــوازن والتنــاغم، وهذا هو الينبوع الذي تدفق منه مياه المحبة، وإذا ازداد إنجذاب الإنسان الى المحسوس غرق في بحر التناقضات والتضادات. فهــو إن رغب بشيء فإنما يكــون علــى حساب شيء آخر، وإن تلذذ بميدان فعلى حساب التــألم فــي ميدان آخر، وهذا ما يولـّد الحيرة والشكوك وأخيراً الكراهية والعدوانية.

عبلــة: علمتني مهنتي أنّ المــريض كلما ازدادت حــالته سوءاً وازداد اقتــرابه من فــاجعة المــوت كلما ازداد شوقــاً الى التــواصل، وحنينــاً للإتحــاد بالآخــر، بعض الممرضات يظنــنّ ذلك شبقــاً جنسياً عنــد المريض، أنا أفهم ذلك، فالمريض قبل أن يــودّع هذه الحيــاة الدنيا يصحو ضميره ويعاتبه على كثير من الأخطاء التي مارسها وخصوصاً خطــأ الإستبداد بالآخــرين أو التعدي على أجسادهم وحرياتهم وأرزاقهم، يعيش المــريض حالات نــدم مــؤلمة تجعله يتعــاهد مع نفسه أنه إذا عاد الى عافيته سيكــون متعــاطفاً مع الضعفــاء والمقهورين والمهمشين، سيكــون جابــراً لعثــرات المتعثرين، كل ذلك يزيــده شفافية وصفاءً ومروءة، أنا ألحظ صفاء سريرة المريض وهي تطـلّ ألقــاً دافئــاً من عينيه، ليس ذلك نــار شهوة على الإطلاق، إنه نور محبة

وتعاطف. صدقوني إنه نــور محبة وتعاطف لا يكتسبه الإنسان للأسف إلا بعد فوات الأوان.

ألبيرتو: ولكن ذلك لا ينفي وجــود الرغبة الجنسية عنــد المريض.

حســام: مشكلـة الإنسان أنــه لا يستطيع أن يعبّــر عــن اللامحسوس إلا مــن خــلال المحسوس، ولهذا تختلط الأمــور في ذهنــه ولا يعود قادراً على التمييز بينها، بل لا يعود قادراً علــى تحديدها، فأيـن تنتهي حدود الجنس لتبدأ حدود المحبة، وأين تنتهي حدود النار لتبدأ حدود النــور، وأين تنتهي حدود التباين لتبدأ حدود الكراهية، هذا ما لا يستطيع معرفته إلا الشعراء الذين يصدر الناس بحقهم أحكاماً خاطئة، ثم يروجون لذلك الخطأ حتى يصبح وكأنه حقيقة لا تقبـل الجــدل، وأنا سأعطيكم مثلاً على ذلك. لقد ظلم النــاس أستاذ شعر الغـزل الأول في الأدب العربي امرؤ القيس عندما نعتوا غزله بالغـزل الخليع الماجن، مساكين هؤلاء الناس لقد غاب عن فكرهم الضحل أنّ امرأ القيس كان ينحت بالكلمات جسد إلهة الجمــال عند العرب بعد أن رأى بأم عينه فــي بلاد الشام تماثيــل إلهة الجمـال عنــد اليونــان "أفروديت" وإلهة الجمــال عنــد الفينيقيين " عشتروت"، ولقد اختفت مع الأيــام تماثيــل عشتروت، وتشوهت تماثيل أفروديت ولكن تمثــال " بيضة الخـدر" بقي في حرز حريز متربعاً على العرش في متحف الخلــود. إنها عملية إسقاط جمــال اللامحدود علــى المحدود، وجمال المجرد علــى المحسوس، هذا ما فعله امرؤ القيس، ولكن الذين لا يريدون أن يفهموا الأمور إلا من خلال منظور الشبق الجنسي فعلوا ما فعلــوه، ونجحوا مستغلين انحدار الأمـة باتجاه الإنحطاط والجهـل.

ألبيرتو: أنا لا أرى الجمال إلا في اهتزاز أثداء راقصات السامبا، وارتجاج أردافهنّ، وما يثرن في جسدي ونفسي من رغبات وشهوات، ولا أرى ذلك متناقضاً مع جمال اللامحدود الذي تتحدثــون عنه، كما إنــي لا أرى أي تناقض بين الإنجــذاب الجنسي وانجذاب المحبة التي تتحدثون عنها. لقد زرت أكثر دول العالم ووجدت أنّ الشعوب المكبوتة جنسياً والتي تخبيء نساءها وراء الأحجبة والأقنعة، هي أكثر الشعوب نهماً الى الجنس وأكثر الشعوب شبقاً، ولاحظت أيضاً أنّ شبقها ممزوج بالكثير من الحقد على الآخــر، وكراهية الآخــر، وفي بعض الأحيان كراهيــة الإنسان لنفسه.

صونيا: لا شيء يولّد الكبت الذي يولّد بدوره الكراهية إلا حرمان المرأة من فرص العمل واستنقاعها في البيت، ولقد لاحظت أنه حيث تستنقع المرأة في البيت يزيد حجم الإنجاب وبالتالي تولد الحلقة الجهنمية المميتة للحياة، فانعدام فرص العمل هو نتيجة عدم النمو الإقتصادي وهذا يتطلب ترشيداً للأسرة وتدريباً على الدخول الى سوق العمل وليس استنقاعاً في البيت يسبب مزيداً من الولادات لنحصل على مزيد من انعدام فرص العمل ومزيد من الفقر والسير الى الهاوية.

ريتا: الفقر يولّد الجهل، والجهل يولّد التكالب على الجنس ومزيداً من الإنجاب، وكل هذا يساعد على ولادة مجتمع متشنج مرتجّ، مشرذم بالحقد والكراهية والإنقسامات من جميع أنواعها. لقد تعلمت ذلك في الجامعة في صفوف التسويق، عندما يقل العرض يكثر الطلب وتبدأ المنافسة حتى تصبح متوحشة كهراش الضباع على جيفة نتنة. كيف نطلب من الناس أن تتحابب في مجتمع يتنافس فيه الجميع بالناب والمخلب على الوظيفة وفرصة العمل وكسرة الخبز، وينتمي فيه المجتمع الى طبقة صغيرة جداً تستأثر بكل شيء، وطبقة واسعة جداً محرومة من كل شيء. كيف نريد من أبناء طبقة المحرومين إذا ما صدف ورأوا امرأة متبرجة من بنات طبقة الموسرين ألا يأكلوها بأعينهم، ألا يمزقوا أعضاء جسدها بسكاكين نظراتهم المحمومة، وكيف نطلب منهم ألا يغتصبوها اغتصاباً جماعياً بخيالاتهم وتصوراتهم، فكل ليلة يعرّونها وينكحونها في كل الإتجاهات ثم ينيمونها معهم على الوسادة. هل نسمي هذا محبة أم كراهية أجيبوني؟

عبلة: أتانا الأسبوع الماضي جريح نتيجة شجار حصل بين عائلتين في إحدى القرى الجردية، أجرينا له جراحة ناجحة أنقذته من موت مؤكد ففرح الجسم الطبي بكامله بهذا الإنجاز الذي تحالفت فيه المهارة مع التوفيق، بعد يومين حضرت الى غرفة المصاب لأهنيء أمه بالسلامة فوجدتها تبكي بحرارة، تعجبت وبادرتها قائلة: ما بالك يا خالة تبكين وقد سحبنا إبنك من فم عزرائيل، الأجدر بك أن تضحكي وتزغردي وترقصي وتشكري الله على نعمه، أجابت الخالة وهي تتنهد لقد شكرت الله كثيراً وما زلت، وإني أشكر لكم جهودكم ليل نهار، وليس كثيراً عليّ لو قبّلت أياديكم وأرجلكم، ولكني يا ابنتي امرأة فقيرة لا يوجد في جيبي ليرة واحدة، لقد

آلمني الجـوع فأنا لم آكل منذ أول البــارحة، وخجلت أن آكل مــن طعـام ولدي، منذ ساعة استفاق إبني وقــال لي: أمي أريد قنينة سفن أب ثم غفــا، أنا لا أملك ثمن قنينة سفن أب، لقد تكفـّل أهل الضيعة بنفقات المستشفى ولكن المصاريف من أين أحصل عليها.. جمعت الممرضات وأعطيناها ما في جيوبنا، وبالكاد يوجد في جيوبنا شيء، عندما عدت الى منزلي وقبـل أن أنــام بكيت بمــرارة، شعرت أنّ المحبـة وحدها لا تكفي لحــل مشاكل المجتمع وتناقضاته، يجب أن يتدخـل العقل الجماعي ليبني نظاماً إجتماعياً عادلاً ومتوازناً، بدون عدالة وتوازن وسلام وعقل ينظم لا تستطيع المحبة أن تثمر الفــرح والسعادة.

سليمان: إذا عرف الإنسان أنه الكائــن الحــيّ الوحيد العاقـل في هذا الوجـود، وأنـه الكائـن الوحيد الذي يعي وجوده ويعي وجود الآخرين ويعي وجود الله، كان لا بدّ أن تولـدّ هذه المعرفة فــي نفسه حبـاً لله الذي أعطــاه نعمة العقـل،وسعياً حثيثاً لتوسيع دائــرة وعي ذلك العقل، وابتكار الأساليب التي تساعد على مزيد من الوعي والفرح العميق بذلك، والسعي الحثيث أيضاً لإزالــة كل العوائق والعراقيل التي تحد من ذلك الوعــي " الهبة الإلهية ".

ريتــا: أنا لا أرى أي رابط بين ما تقوله وبين العلاقة الجدلية بين المحبة والكراهية.

سليمان: أن نحب الله فــي ذواتنــا يعني أن نحب منطق العقل وقوانينه، وسعى دائماً لتوسيع دائــرة وعيه، أن نحب الله في ذواتنا يعني أن نحب الخلـق والإبداع والتطور والإرتقــاء، أن نحب الله في ذواتنا يعني أن نحب الحريــة التي وهبنا الله إياها لنكون أسياداً لا عبيداً، لنكون مسؤولين عن أعمالنا وأقوالنا لا عبثيين، لنكون منفتحين على الآخــرين ومتفــاعلين معهم علــى قــواسم مشتركــة هــي تمجيــد الهويــة الإنسانيــة واحترامها، وتسهيل تواصلها مع الله في ذواتنا يعني أن نعــرف حدود الأشياء ونقف عندها، والهدف الذي وجدت من أجله ونسعى لتحقيقه، فنعرف أن نحافظ على نظافة عقولنا أولاً فنصونها من الفكر الخــرافي والأسطوري والغيبي، ونجعل منها عقولاً منطقية نقدية كما أرادها الله. أن نحافظ على نظافة أجسادنا ثانياً فنصونها من التلوث وذلك باستعمال الجــوارح من أجـل ما وجدت لأجـله لا من أجل شهوات إصطنعتها

مخيـلاتنا المـريضة، ونـزوات ابتكـرها الجشع والطمع وشبـق التملك والإستبـداد والفـوضى.

صونيـا: وأن نحب الله فـي مجتمعنا يعنـي أن ننـاضل مـن أجل تحرير المرأة من الأحكام الجائـرة التي صدرت بحقهـا فـي عهود الإنحطاط، ونعيدها إنساناً له نفس الحقـوق وعليه نفس الواجبات كما الرجـل، وأن نبني الأسرة لا علـى أسـاس مبدأ الملكية للرجـل، بـل علـى أساس التشبه بالله في خلق أناس لهم شخصياتهم المستقلة المتكاملة، فالزوجـة والأولاد ليسوا أملاكاً للرجـل الإقطاعي بتفكيره، حتى ولو كان معدماً باقتصادياته، الأولاد أبنـاء الله، أبناء الحياة، أبناء الإنسانية الحرة المسؤولة.
أن نحب الله فـي مجتمعنا يعنـي أن نسعـى لتـرشيد الملكية فلا ينقسم المجتمـع الى طبقات متنـاحرة متحـاسدة متحـاقدة، القـوي فيها يستغل الضعيف ويسترهنه روحاً وجسداً، أن نسعى لبنـاء مجتمع عقـلاني علماني شعاره كرامة إنسانية الإنسان فوق كل اعتبار، حـقّ الإنسان بالعلم والعمل والتطور والتعبير الحرّ عن مكنونات نفسه.

ألبيرتو: وأن نحب الله فـي كوكبنا الأرضي ببشره وحجـره وتـرابه وغاباته وأنهاره وبحـاره يعني أن نحافظ على البيئة البشرية أولاً فلا نحشر الناس بالملايين في مدن ملوثـة بهوائها ومائها وبقية أرض الله فارغة لا تجد من يدوس ترابها ويستحم بمائها ويتنشف بشعاع شموسها، ولا نتعـدى على الطبيعة بغـاباتها وينابيعها وأنهارها بغية ربـح وهمـي وأرصدة بنـوك نتـركها وراءنا ونغادر لنوارى في تراب ملوث فنفقد طهارتنا حيـاةً وممـاتاً.

حسـام: بالشعر فقط نبني إنسانيـة متـوازنة متنـاغمة خلاقة مبدعة، أليس الشعر في موسيقاه الخـارجية أوزانـاً؟ وهـل القـوانين العـادلة التي تسنها برلمانـات الأنظمة الديموقراطية إلا أوزانـاً، وهـل غفلتم عن الموسيقى الداخلية في الشعر التي تجذب الحـروف الى بعضها داخل الكلمة، وتجذب الكلمات الى بعضها داخل العبارة، أليس ممثـول هذه الموسيقى الداخلية في الشعر المناخ الإنساني الذي تسود المحبـة طبقاته وشرائحه ودياناته وجميع أنشطته المادية والمعنوية، إنها محبة التناغم المستوحاة من تنـاغم الأبـراج والأفـلاك والكواكب والطبائع، ألم يخبرنا الفيلسوف فيثاغورس أنه

كان يسمع مـوسيقى الأفـلاك فتنتشي روحــه طربــاً وفرحاً وإحساساً بتناغم الكون ووحدته.

ريتـــا: ننظر حـولنا فلا نـرى إلا دولاً تتناحـر، وطبقـات تتخاصم وديانات تكفّـر بعضها، وأقويــاء يسترهنون ضعفــاء، ومتخمين يبتــزون جــائعين، ورجالاً تحـاول استعبــاد نساء، وأطفـالاً يُغتصبون ويُبــاعون كأنهم سلع، يكاد القلب يفطر يأساً من هــول ما يــرى ويسمع، ويأخذه العجب والــدهشة ويسأل نفسه مــن أين أتى كل هذا الظلــم والتعــدي والحقــد والكـراهية طالما أنّ قوانين العقل واحدة في ضمائر جميع النــاس، والبديهيات المنطقية يعرفها الجميع بدون استثناء.

سليمان: كل نظــام ديني أو حزبي أو عقائدي يحاول أن يحتكر الحقيقة لنفسه ويحرم منها الآخــرين، هــو نظــام عنصري فــاشي يزرع بذور الكراهية والحقد في نفوس النــاس أجمعين أتباعاً وأخصاماً على حــدّ سواء.

عبلـــة: كيف أجــازت المرجعيات الدينية لنفسها أن تقول أتباعي يكافأون بالجنـة إذا مارسوا الشعائــر وأدّوا الفــروض وأطــاعوا الرؤساء، وجميع الآخــرين فــي جهنم يُشوون بالنــار، وإذا نضجت جلودهم بدلوا بجلود أخرى فهم يموتون ثم يعودون الى نــار العــذاب مـن جديد ولا من توبة تقبل ولا من شفيع يشفع، فقلب الله قاس لا يلين فهو يستلذ صراخ الألم وينتشي برائحة الدم واللحم المشوي.

ريتـــا: والأدهى مــن ذلك أن كل ديــن انقسم على نفسه الــى عشرات الأقسام، وكل قسم مــن تلك الأقسام يكفــّر أصحــابه أتبـــاع الأقسام الأخــرى، بـل يستحلـّون سفك دمائهم ونهب ممتلكاتهم وسبي نسائهم. إنها الينابيع التي تتدفق منها الكراهية والحقد، وتحــوّل الشعائر الى أصنام تعبد، وتحــوّل الإنسان الى حفنة صلصال فارغ.

صونيـا: هذه الإنقسامات فــي أتبــاع الدين الواحد تشبه الإنقسامات في القبيلة البدوية الواحدة الى أفخاذ كل منها يصارع الآخــر بحقــد لا مثيــل له، فالعـرب قديماً عندما تكاثروا انقسموا الـــى قيسيين ويمنيين وتذابحوا وتناهبوا واستباحوا حرمات بعضهم، ثم انقسم القيسيون بدورهم فتذابحت عبس مع ذبيان وبكـر مع تغلب، وكذلك اليمنيون تذابــح الغساسنة مع المنــاذرة مع آل كنــدة، وظــلّ مبــدأ التفتت المبني على الأنانية

والإستئثار يتمدد حتى وصل الى مؤسسة الأسرة الصغيرة حيث استأثر الرجل بزوجته وأولاده وكأنهم متاع له، وجهد ليسحب ظله عليهم ويزيل منهم خصائصهم الذاتية ويحولهم الى أشباح مستنسخة ثم يعتبر ذلك غيرة وحمية ومحبة.

حسام: المجتمعات القبلية والدينية لم تفرز إلا التشكك والإرتياب بالآخرين ووضعهم دائماً في خانة الخطيئة، فالمتدين يعتبر زوجته وبناته هنّ وحدهنّ الصائنات لفروجهنّ وما عدا ذلك من النساء عاهرات أو في الطريق الى التعهّر، وأولاده وحدهم أصحاب مروءات وشهامات وما عداهم وحوش ضالة تأكل بأنيابها ومخالبها.

صونيا: فكرة الخطيئة نفسها فكرة تستبطن الكراهية والحقد، فإذا كان الإنسان ابن الخطيئة فهو لا يستحق المحبة والرحمة، وما يصيبه من الظلم والألم والعذاب فهو ثمرة استحقاق يستحقه، ولا داع للتعاطف معه أو حتى مواساته، حتى أنّ أصحاب العاهات أجدر بالإزدراء والنظرة الدونية منهم بالمساعدة للقيام بأود أنفسهم، لأنه لو لم يكونوا أصحاب سرائر خبيثة ونفوس خاطئة لما خلقهم الله هكذا. هؤلاء الأغبياء تجاهلوا حقائق علم الطب التي تقول أنّ الجنين في رحم أمه هو ثمرة تلقيح بذرة الرجل لبويضة المرأة وتنمية طبائع الأفلاك ولا دخل لله فيها بل حاشا الله أن يشرف على تلقيح بويضة امرأة بمني رجل في عتمة رحم. أصحاب هذا الفكر السقيم أهانوا الله وهم يظنون أنهم يمتدحونه بالقدرة على كل كبيرة وصغيرة.

عبلة: الأصح لو قلت أنهم أهانوا عقولهم في معرفة الله فالله موجودٌ منزهٌ عن المدح أو عن الذمّ.

سليمان: من الصعب أن يمتلء قلب المرء بالمحبة إلا إذا كان مطمئناً الى أنه يعيش في مجتمع لا أحد فيه يعتدي على أحد، ولا أحد يستغل أحد، ولا أحد يستكبر على أحد، وإلا إذا كان مقتنعاً بأنه موجودٌ في المكان الذي تخوله إمكاناته المادية والفكرية أن يكون موجوداً فيه، وبالتالي هو لا يستحق مكاناً أعلى ليشرئب عنقه إليه ويحسد أصحابه عليه، ولا مكاناً أعلى ليشعر بأنه قذ أذل وأهين. ولذلك ترتبط فكرة المحبة إرتباطاً مصيرياً بفكرة العدالة، هذه العدالة التي اغتصبتها الأنظمة

الديكتاتورية واستبدلتها بـواقع التـرغيب والتـرهيب، فعـاش الناس إما في جشع لا يعرف حدود الشبع، وإما فـي خوف سلب العقـول والحـريات والضمائر والهويات وحرمة الأجساد وكسرة الخبز.

والأدهى مـن الأنظمة الديكتاتورية العلمانية أنظمة الديكتاتوريات الدينية التي حولت النـاس باسم السماء الـى مجموعة مـن الخطـأة الذين يستحقون الإرتهان والإستعباد حتى يثبتوا طاعتهم العمياء لأولي الأمر منهم فيتحولون عندئذ الى شعب الله المختار والى أشرف من وطأ الأرض بقدم، باسم عبـادة الله فرض أولياء الأمر أولئك عبادة أشخاصهم. وبـدل أن تكـون مفاتيح الجنـة وجهنم فـي يـد الله أصبحت فـي أيديهم، فالتقرب منهم نعيم والإبتعـاد عنهم جحيم ورضاهم هـو المنّ والسلوى وغضبهم هو المهل الذي يشوي الوجـوه والبطون.

حسـام: العجيب كيف يكره الإنسان نفسه،ويمارس عليها طقوساً مؤلمة وهو يحاول أن يقنعها بأن ما يقـوم به نـوعٌ من السمو والإرتقاء الى مصاف الأولياء والمنتجَبين تماماً كما فعـل بعض المتصوفين الذين كانـوا ينـامون على الأشواك ولا يأكلون إلا الخبز المعفن ولا يغتسلون مـن العـام الى العـام وينذرون العزوبة الدائمة وكل ذلك اعتقـاداً منهم أنهم يقمعون شهواتهم لتصفو سرائـرهم وتتشفف ضمائرهم ويصبحـوا أقـرب الى الله من ملائكته اليه، حتى أنّ بعضهم وصل به الغرور أن أخذ يظن وهو فـي ذروة هلوسته وتحشيش مخيلته أنّ الله يتكلم بلسانـه ويسعى بقمه، وأنّ له نوراً يمشي به بين الناس. أكثر الدراسات الميدانية الحديثة التي أجريت على هذه الشرائح أثبتت بغالبيتها أنهم شذاذ جنسياً ومدمنو مخدرات.

صونيـا: الإنسان الشرقـي تعـوّد العيش فـي مجتمعات حكـامها ومتنفذوهـا يظلمـون الناس ويسترهنونهم ويضطهدونهم كعبيد. ومصيبة هـذا الإنسان الشرقي أنه إذا كان قـوياً إستعبد النـاس وتلذذ باستعبادهم، وإذا كان ضعيفاً تلذذ بقيـود عبوديته واستمرأ طعم الإضطهاد، وإذا لم يجد مـن يضطهده إضطهد نفسه بنفسه، وتفنن فـي اختراع الوسائـل والأساليب، فهل نفسر هذه الثيـاب السوداء التي يغـرق فيها الإنسان مـدى الحياة إلا نـوعاً من أنواع كراهيته لنفسه، هل نفسر حرمان المرأة من التعليم وقيادة

السيارة والإنخراط فـي العمل والإنتـاج إلا كراهية لنفسه، هل نفسر ممارسة طقوس يومية روتينية إلا كراهية الإنسان لنفسه.

ريتـــا: كل أنسان يتعمد تجهيل نفسه وتكـريس جهلها هـو إنسانٌ يكره نفسه، ولذلك التجهيل طرق ملتوية والتباسات كثيرة. فبعض الناس يغرقون بالفكر الغيبي الخرافي معتمدين التبصير مرشداً والتنجيم سبيـل هدى، فهم إذا أرادوا تسمية مولـود ركضوا الــى المبصرين يطلبـون الهداية، وإذا أرادوا أن يعقدوا زواجاً هـرعوا الى المنجمين يستأنسون بآرائهم ثم يبنون جميع تصرفاتهم على هذه الغيبيات، فالمرض برأيهم هو خط أسود خُطّ للمريض من قبـل حسود أو قـريب، وانتكاس العمـل والتجـارة هـو نتيجة تعويذة سحرية قـام بها أحد المنافسين.

عبلـــة: أخبرني ابـن عم لي يعمل مع أطبـاء بلا حدود أنّ المرأة البدوية في شمالي العراق وسوريا عندما تنجب طفلاً يمنع عنها أكل اللحوم والبيض والحليب والدهون بحجة أنّ ذلك يوسخ حليب الطفـل، فلكي يكـون الحليب طاهـرا ًيصلح لتنمية الطفل يجب علـى المـرأة أن تكتفي بأكل الخبز الناشف وشرب الشاي فقط. وتكون النتيجة أنّ هذه المرأة قبل الزواج تكون كليلى العامرية جمالاً وبهاءً وعافية، وبعد الإنجاب بسنتين أو ثلاث تصبح وكأنها قفّـة عظام لا أثـداء نـاهدة ولا أرداف رجــراجة ولا عيون متألقة. بعد أن قصّ عليّ إبن عمي هذه القصة بتّ أعرف لماذا في بلاد الجهل والفكر الغيبي يطمح الرجـل للزواج بأكثر من امرأة واحدة.

ألبيرتو: لا يمكن لجـاهل أن يكون محبّـلنفسه ومحباً لمجتمعه ومحباً للطبيعة ومحباً للإنسانية. أنا أفهم المحبــة نظـلماً وتنظيماً، أفهم المحبــة تـوازناً بيـن ملذات الجسد المــادية وملذات العقـل المعرفية وملذات الروح المعنوية.

ريتـــا: آخـر مـن كنـّا نتـوقعه يتكلم بلغة الألغـاز هو ألبيرتو، الملذات المادية كلنا نعرفها لأننا جميعاً غـارقون في تيـه رمـالها المتحـركة، والملذات المعـرفية ليست غريبــة عنـّا فهي السعي لمحـاولة اكتشاف قوانين الطبيعة وأسرارها، وما تيسر من معـرفة أسرار النفس البشريــة على صعيد الفرد وعلى صعيد الجماعة، أما الملذات المعنوية فهذا ما لا علم لنا به فهلا أنــار أحـدٌ لنا السبيل.

سليمان: التـواصل مع الله هـو اللذة المعنـوية الكبـرى للـروح الإنسانيـة أما جسر التواصل هذا فهو الفضائـل العفية.

حسـام: بـل قـل التواصل مع آلهات الجمال عند الشعراء الخالدين هي اللذة المعنوية الكبرى، لهفي علـى " بيضة الخدر" بترائبها المصقولة كالسجنجل وهي تنظر بحذر ووجـل كما غـزالة مطفلة تخشى خطـر المجهـول، لهفي على خصرها الذي يكـاد ينقطع رقـة، وعلى أردافها المتثاقلين لكثرة ما تحمل عليهما من ثمار ناضجة، لهفي على بياضها المشرب بقليـل مـن السمرة وعلـى شذا طيبها الذي يسري خـدراً فـي الحـواس رغم أنها لم تتطيّب، ولهفي علـى دلال فاطمة وغنجها الأرستقراطي الذي يجعلها قريبـة على بعد بعيدة على قرب، صدقوني أيها الأصدقاء من لا يعيش الشعر أو يكتبه أو يـوحي بـه ليس أكثـر من كتلة لحم ودم تتدحرج علـى طرقات الضياع آخـرها طعامٌ للخنافس والديدان والعقارب.

عبلـة: دعـوني أسأل سليمان قبـل أن تضيع المنـاسبة ما هي الفضائـل العفية التي اعتبرها جسر التـواصل مع الله؟

سليمان: المـروءة الكـرم العفاف إغاثـة الضعيف العفو عند المقدرة الفرح الجماعي وأخيراً الخلق والإبـداع.

لا أتخيـل أنّ الإنسان إذا لم يكن محبـاً لله بعقله وأحاسيسه وكل جـارحة من جوارح جسده ومحبـاً لنفسه ساعياً لتحقيق إنسانيته وبلـوغ كمال نوعه، ومحباً لمجتمعه باذلاً ما في وسعه لجعله مجتمعاً لا ينتمي إلا الـى قوانين العقل وحقائقه البديهية، مجتمعاً يعطي الجميع فـرصاً متساوية للتطـور والإرتقـاء ويوزع خيراته على الجميع دون شعور أحد بالظلم والحـرمان، ومحبـاً للإنسانية ساعياً لتوحدها لما فيه خير الإنسان الى أي قومية أو دين إنتمى، لا أتخيل إنساناً لا تجتمع فيه هذه الصفات يملك إحساساً حقيقياً بالشرف وهـو صاحب مـروءة وشهامة، كريم يعطي من نفسه وما ملكت يده صادقاً ظاهـره كباطنه، شجـاعاً لا يخشى أقوياء ولا يستبد بضعفاء.

صونيـا: الملذات المعنويـة برأيـي صنـوان وليست صنواً واحداً الصنـو الأول هو الملذات التي تثمرها شجرة المحبـة والتي تحدث عنها سليمان، أما الصنو الآخر فهو

الملذات المعنويـة السوداء التي تثمرها شجرة الكراهية وهي الكذب والنميمة والحسد والحقـد والتعدي والإستبداد والإستئثار بالمال والسلطة.

لا أستطيع بدوري أن أتخيل إنساناً يكره نفسه فيطعمها جهلاً ويسقيها إستبداداً ونزقاً وطيشاً وانجـرافاً وراء الفكالغيبي إلا أنساناً منغلقاً متعصباً منعزلاً مستكبراً عنيداً عدوانياً إذا لم يجـد من يغتصبه روحاً وجسداً إغتصب البديهيات الموجودة في عقله الطبيعي وقـوانين الطبيعة المنغرزة في ذاته، إغتصب بذرة الألوهة في ضميره فغدا شيطاناً مجسداً بشكل إنسان.

ريتـــا: كل مـا تقـولون يعيدنا الى قـول سقراط أنّ سبب كل الشرور مـن كـراهية وعدوانية وظلم واستبداد وكذب ونفـاق هـو الجهل وسبب الخير بجميع تجلياته من محبة وعدالة وصدق ومروءة هـو المعرفة.

الجميع: الكـراهية مـولودٌ أبـوه الجهـل وأمه الإستكبار، والمحبة مولودٌ أبوه المعرفة وأمــه التواضع، المحبة مولودٌ أبـوه المعرفة وأمــه التــواضع.

كمال يوسف سري الدين